كلمة الحياة

أيلول/ سبتمبر 2022

"ومع أَنّي حُرٌّ مِن جِهَةِ النَّاسِ جَميعًا، فقَد جَعَلتُ مِن نَفْسي عَبْدًا لِجَميعِ النَّاسِ كَي أَربحَ أَكثَرَهُم"

(1 كور 9، 19)

كلمة حياة هذا الشهر مأخوذة من رسالة القدّيس بولس الأولى إلى مسيحيّي كورنثوس. ها إنّ الرسول موجود في أفسس، ومن خلال هذه الكلمات يحاول أن يقدّم بعض الإجابات على المشكلات التي برزت في الجماعة اليونانيّة في كورنثوس، هذه المدينة العالميّة والمركز التجاريّ الضخم، الشهيرة بمعبد أفروديت وبفسادها الذي يُضرَب به المَثَل.

كان متلقّو هذه الرسالة قد ارتدّوا منذ بضع سنوات من الوثنيّة إلى الإيمان المسيحيّ بفضل كرازة الرسول. ومن بين النزاعات التي كانت تقسِم الجماعة موضوعُ تناول لحم ما ذُبِح للأوثان.

بتشديده على حرّيّتنا في المسيح، يقدّم بولس تحليلًا واسعًا حول كيفيّة التصرّف أمام بعض الخيارات، ويتوقّف بشكل خاصّ عند مفهوم الحرّيّة.

"ومع أَنّي حُرٌّ مِن جِهَةِ النَّاسِ جَميعًا، فقَد جَعَلتُ مِن نَفْسي عَبْدًا لِجَميعِ النَّاسِ كَي أَربحَ أَكثَرَهُم"

بما أنّ المسيحيّين يعلمون أنْ "لا وَثَنَ في العالَم، وأَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ الأَحَد" (1 كور8، 4)، فهم غير مبالين إزاء تناول لحم ما ذُبِح للأوثان أو عدم تناوله. وأمّا المشكلة فتبرز عندما يتواجد المسيحيّ في حضرة شخص لا يمتلك بعد هذا الإدراك، هذه المعرفة للإيمان، وهو بتصرّفه هذا قادر على صدم ضميرٍ ضعيف.

حين تكون المعرفة والمحبّة على المحكّ، فما من شكّ عند بولس: على التلميذ أن يختار المحبّة متخلّيًا حتّى عن حرّيّته، كما فعل المسيح الذي جعل نفسه طوعًا عبدًا بدافع المحبّة.

إنّ الانتباه إلى الأخ الضعيف، صاحب الضمير الهشّ، الذي يفتقر إلى المعرفة هو أمر أساسيّ. فالهدف هو "الربح" بمعنى إيصال حياة الإنجيل السارّة الجميلة إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص.

"ومع أَنّي حُرٌّ مِن جِهَةِ النَّاسِ جَميعًا، فقَد جَعَلتُ مِن نَفْسي عَبْدًا لِجَميعِ النَّاسِ كَي أَربحَ أَكثَرَهُم"

وقد كتبَت كيارا لوبيك: "إذا كنّا جسدًا واحدًا مع المسيح، إذا كنّا المسيح، فنحن إن انقسمنا في ما بيننا وكانت أفكارنا متضاربة، نَقْسِم المسيح. [...] إذا كان يحدث بين المسيحيّين الأُوَل خطر انكسار التوافق، كانت التوصية إلى المؤمن بأن يتخلّى عن أفكاره لكي يحافظ على المحبّة. [...] هذا ما يحصل اليوم أيضًا: على الرغم من قناعتنا أحيانًا بأنّ طريقة تفكير معيّنة هي الفُضلى، يَقترح علينا الربّ، من أجل انقاذ المحبّة مع الجميع، بأنّه من الأفضل أحيانًا التخلّي عن أفكارنا، ومن الأفضل الأقلّ كمالًا باتّفاق مع الآخرين، من الأكثر كمالًا في الخلاف معهم.

وهذا الانحناء بدلًا من الكسر هو إحدى الخصائص، ربّما الأشدّ ألمًا، ولكن الأكثر فعاليّةً ومباركةً من الله، التي تحافظ على الوحدة بحسب فكر المسيح الأصيل، والتي تعرف نتيجةً لذلك أن تقدِّرَ قيمة هذه الوحدة"[1].

"ومع أَنّي حُرٌّ مِن جِهَةِ النَّاسِ جَميعًا، فقَد جَعَلتُ مِن نَفْسي عَبْدًا لِجَميعِ النَّاسِ كَي أَربحَ أَكثَرَهُم"

إنّ اختبار الكاردينال الفيتناميّ "فرنسوا فان توان" الذي أمضى ثلاثة عشر عامًا في السجن، تسعة من بينها في العزلة التامّة، يشهد على أنّ المحبّة الحقيقيّة التي لا تبغي المصلحة تدعو بدورها إلى المحبّة. ففي أثناء سجنه، كان خمسة حرّاس موكّلين بحراسته، إلّا أنّ رؤساءهم كانوا يستبدلون بهم كلّ أسبوعين مجموعة أخرى لأنّ الأسقف كان "يصيبهم بالعدوى". وفي النهاية قرّر هؤلاء أن يتركوهم هم نفسَهم وإلّا "أُصيب بالعدوى" جميعُ عناصر شرطة السجن. هذا ما يخبرنا إيّاه هو نفسُه: "في البداية لم يكن حرّاس السجن يتكلّمون معي. كانوا يجيبون فقط بنعم أو لا. [...] في ليلة أتتني فكرة: "فرانسوا، أنت لا تزال غنيًّا جدًّا، لديك في قلبك محبّة يسوع؛ أحبِبْهم كما أحبَّك يسوع". في اليوم التالي بدأتُ أحبُّهم بشكل أكبر، أُحبُّ يسوع فيهم، مبتسِمًا لهم، متبادلًا معهم كلمات لطيفة. [...] رويدًا رويدًا أصبحنا أصدقاء"[2]. فيما كان في السجن، صنع بمساعدة سجّانيه الصليب الصدريّ الذي حمله حتّى مماته، المصنوع من قطع صغيرة من الخشب وسلسلة من الحديد، رمزًا للصداقة التي وُلِدَت معهم.

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

---

[1] C. Lubich, *L'arte di amare*, Città Nuova, Roma 2005, pp. 120-121.

[2] F.X. Nguyễn Văn Thuận, *Testimoni della speranza*, Città Nuova, Roma 2000, pp. 98.

ولد عام 1928 في كنف عائلة كاثوليكية، وتوفّي في روما سنة 2002. وفي 15 آب/ أغسطس 1975، بعد وقت قصير من أن يعيّنه البابا بولس السادس رئيس أساقفة سايغون، ألقت السلطات الفيتنامية القبض عليه. هكذا بدأت مسيرته المضطربة التي دامت ثلاثة عشر عامًا، بين البيوت القسرية وزنازين الحبس الانفرادي ومعسكرات الاعتقال والتعذيب بجميع أنواعه، مسيرة ظلّت مضاءة برجاء لا يتزعزع.